الحمد لله رب العالمين الآيات ثم قال إياك نعبد وإياك نستعين
انتقل من الغيبة إلى الخطاب وبالعكس والثاني اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم انتقل
من الخطاب إلى الغيبة وأقول إنما عدل في الأول من الغيبة
إلى الخطاب لأن الحمد العبادة ألا ترى أنك تحمد نظيرك ولا دون
تعبده وكان القاري يتوصل إلى الأعلى بالأدنى وأتى الخطاب
بالغيبة على سبيل التدرج إلى الغاية ولا يخاطب الله تعالى من
أول وهلة قدم ثنا قبل أن تدنو يدا ومهد من قبل أن
تدنيه ثنا وكأنه أثنى أولا ثم خاطب ثانيا وفي الثاني إنما عدل عن
الخطاب إلى الغيبة لأن المقام مقام سؤال وتعطف وطلب هداية
ورحمة من الله تعالى فلو قال غير الذي غضبت عليهم لكان قد
نسب الغضب إليه تعالى وكان بمنزلة الذي يقول أنت تنعم
وتنتقم وتعفو وتؤاخذ وفي هذه المواجهة لمن يطلب إحسانه
ورحمته وهدايته ما فيه لأنك تذكره بما له عليك أما إذا قلت
أنت المنعم الذي لا يغضب والعفو الذي لا يؤاخذ كنت قد أثنيت
بما زاده عطفا عليك وأغراه بالعفو عنك وما أحسن قول القائل
تجني علي إذا خلوت كثيرة * وإذا حضرت فإنني مخصوم
لا أستطيع أقول أنت ظلمتني * الله يعلم أنني مظلوم
والثاني الرجوع عن الفعل المستقبل إلى الأمر فالأول كقوله تعالى وعن الماضي
إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا
أني بريء مما تشركون من دونه انتقل من الاستقبال إلى الأمر فكيدوني
والثاني كقوله تعالى أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد قل
وادعوه مخلصين الآية فأقول إنما عدل في الأول عن ذلك لئلا يساوي
بين

بين شهادة الله تعالى وشهادتهم فلم يقل أشهد الله وأشهدكم
وفي الثاني إنما عدل عن ذلك لئلا يساوي بين [illegible] لأن
لفظ الأمر فيه العناية بما أمر فإذا قلت أمرتك بالقيام وصل
لله تعالى كان أبلغ من قولك أمرتك بالقيام والصلاة والثاني
الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل وبالعكس فالأول كقوله
تعالى والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا الآية انتقل عن الاستقبال ل من المضي الي
إلى المضي والثاني كقوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الأرض
بارزة وحشرناهم وقوله تعالى ويوم ينفخ في الصور ففزع
من في السموات والأرض الآية انتقل من الاستقبال إلى الماضي فأقول
إنما عدل في الأول إلى الاستقبال طلبا لاستحضار الحال
من الصورة البديعة كأن المستقبل في الانتظار والتوقع
فيطلب بذلك التمني والتطلع لوقوع الحال بخلاف الماضي فإنه
أمر مفروغ منه وليس للنفوس إليه تطلع وفي الثاني إنما عدل إلى الماضي
لأن الماضي أمر وقع وصح وثبت وتحقق كونه ولما كان الحشر
وفزع أهل السموات والأرض أمر مطلوب ثبوته وتحققه أخبر
عنه بالماضي الذي وقع وجزم العقل به بخلاف الاستقبال فإنه
أمر مظنون ويحتمل وقوعه ويحتمل عدمه فانظر إلى ما أعطى
الالتفات في هذا الموضع من المعاني وأفادها من الحكم
فتبارك الله الذي أنزل القرآن وجعله معجزا لأن نهايته عن نأت
البشر بعدت مراقي معانيه وحكمه عن المعارضة والإتيان
بمثله وبسورة منه تنزيل من حكيم حميد قال الزمخشري الالتفات
من أسلوب إلى أسلوب تطرية لنشاط السامع طلبا للإصغاء إليه
قلت ألا ترى أن الطغرائي لما أخذ في وصف حاله وما هو فيه من

Copyright © King Saud University